الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم الـــــــعالي و البحث العلمي
جامعة 20أوت1955سكيكدة
كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية
بالتعاون مع:
مخبر البحوث و الدراسات الاجتماعية

شهادة مشاركة

تمنح هذه الشهادة للأستاذ(ة): بوبكر الصديق بن شويخ

نظير مشاركته(ا) في فعاليات الملتقى الدولي الافتراضي الأول الموسوم ب: وسائل الاتصال و الإعلام و آليات التغيير-واقع و رهانات

المنعقد يوم 16 نوفمبر2022 بمداخلة موسومة ب: "الاغتراب الثقافي في الفضاء الافتراضي بين الأسباب و المسببات"

رئيس الملتقى

عميد الكلية

رئيس القسم

جامعة 20 أوت 1955 بسكيكدة

كلية العلوم والإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

ملتقى دولي افتراضي بعنوان: وسائل الاتصال والإعلام وآليات التغيير

-الو اقع والرهانات-

محور المداخلة: تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومسألة الهوية الثقافية

عنوان المداخلة: الاغتراب الثقافي في الفضاء الافتراضي بين: الأسباب والمسببات

د. بوبكر الصديق بن شويخ[1]

د. توفيق ذباح[2]

ملخص:

تناولنا في هذه الورقة البحثية، موضوع الثقافة في العصر الرقمي، حيث قمنا بتسليط الضوء على أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث صراعات وصدامات بين مختلف الثقافات داخل المجال الرقمي، من خلال القيام بدراسة تحليلية نقدية، باستخدام الأساليب النوعية (الكيفية)، والمتمثلة في عمليتي التأويل والتفسير، وهو ما مكننا من الوصول إلى تفسيرات وصياغة تبريرات حول أهم الدوافع والعوامل التي أدت إلى ظهور نوع من الاغتراب الثقافي داخل الفضاء الرقمي، الذي ساهمت فيه جملة التطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال الجديدة، وكذا الاستخدام المتنامي لها.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب الثقافي، الانفتاح الثقافي، الصراع الثقافي، الفضاء الرقمي، تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال.

[1] بوبكر الصديق بن شويخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، dr.benchouikh@gmail.com

[2] توفيق ذباح، جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي، debbahtoufik1@gmail.com

مقدمة:

إن فكرة الاتصال عبر الأنترنت، تبدو للوهلة الأولى فكرة جذابة للغاية، حيث أصبح بإمكان المرء التواصل مع أي شخص في أي وقت وفي أي مكان. وهذا بعد أن كانت الأنترنت في وقت ما حكرا على بعض - العسكريين وبعض الأساتذة الجامعيين - لكن ومع مطلع القرن الواحد والعشرين، الذي عرف طفرة تكنولوجية مع دخول الجيل الثاني للأنترنت، والذي سمح باستخدام الخصائص التقنية الجديدة لها، مما أسس لعلاقات شخصية ومجتمعية رقمية، الفاعلون فيها مجموعات المستخدمين، باعتبارهم قوة جديدة في التدوين وصناعة المحتوى الرقمي، والذين أصبح بإمكانهم بناء مساحات مستقلة للتواصل والتفاعل، وتشكيل منصات للتعبير عن المشاعر، وتبادل وجهات النظر، وإظهار الفردانية، بفضل أشكال النشر والتعبير عن الأفكار والآراء الجديدة المعتنقة، وهذا من خلال المدونات والمنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي، وهي الأنماط التمثيلية التي أصبحت تستخدم للتعبير عن مختلف الثقافات.

الإشكالية:

ترى الفيلسوفة الامريكية "نانسي فريزر" أن الفضاءات الرقمية هي عبارة عن "فضاءات الانسحاب وإعادة التجمع"، وهذا المفهوم يوحي بأن فئة الأقليات تعاني من صعوبة في اثبات تواجدها داخل الفضاء الرقمي، وهي تكافح من أجل بقائها ومن أجل الحفاظ على الثقافة الجماعية لها (ولو بشكل طفيف)، وبعبارة أخرى هناك نوع من المقاومة لمواجهة محاولات طمس الاختلاف الثقافي، من خلال محاولة إبراز الثقافة المحلية عن طريق المشاركة والتواصل عبر شبكات الأنترنت، التي أصبحت ساحات حضورية تعمل على بلورة النقاشات الثقافية.

ومن جهة أخرى يري البعض أن أزمة الثقافة في العالم المادي، شكلت قوة دافعة للتدوين في المجال الرقمي، مما يعني أن هناك نوع من التوتر الضمني بين الثقافة المستجدة التي يعترف بها جيل الشباب، وبين الثقافة السائدة التي يمثلها الأجداد. إذ تميل فئة الشباب إلى مقاومة الثقافة السائدة ومحاولة إنشاء مجموعة جديدة من أنظمة القيم المتبناة في العالم الرقمي، في محاولة لإثبات الذات المتحررة، من خلال التمرد على قيم وثقافة المجتمع الأصلية، وهذا عن طريق الدعوة إلى الافتتان بالموضة الشائعة واعتناق الثقافة العالمية الرائجة، من أجل تأكيد الفضاء الثقافي الخاص بهم. مما قد يتسبب في نهاية المطاف في حدوث تفكك على مستوى الروابط المجتمعية بين فئات المجتمع، وهو ما قد يؤدي إلى النفور والتغريب وتدهور العلاقات الشخصية بين الناس في سياق العصر الرقمي.

وهو الأمر الذي دفعنا لطرح التساؤل الآتي:

- **ماهي أهم الأسباب والمسببات الكامنة وراء حدوث الاغتراب الثقافي في العالم الرقمي؟**

ومن أجل الإجابة عن التساؤل الرئيسي للإشكالية، سنحاول في بداية بحثنا الاجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

1. كيف تعمل تكنولوجيا الاتصال الجديدة على صناعة الاغتراب داخل الفضاء الافتراضي؟
2. ماهي أبرز الأسباب المؤدية إلى حدوث صراعات وصدامات بين مختلف الثقافات داخل المجال الرقمي؟
3. ماهي العوامل الرئيسية التي أدت إلى حدوث أزمة في الهوية داخل الفضاء الافتراضي؟

1. **تجربة الانفتاح في الفضاء الرقمي:**

إن الهدف من نشر المحتوى الرقمي على الشبكات الاجتماعية لدى المستخدمين يعد تجربة احاسيس عاطفية يمكن تقاسمها - وهذا بغض النظر إن كان يساهم ذلك في بناء العلاقات الاجتماعية أم لا - لا سيما عندما يتعلق الأمر بإنشاء وتعميم المحتوى البصري الذي يتميز بالقدرة على إثارة المشاعر العاطفية، بين الذين يصنعون والذين يشاهدون مقاطع الفيديو، على غرار مقاطع ومشاهد الفيديو المنزلي. خاصة إذا ما تم صناعة المحتوى بطريقة جاذبية واحترافية مما يساهم في توسيع نطاق المشاهدة. ذلك أن نشر المحتوى البصري لا يستهدف دوما المعجبين المقربين، أو تكريس الانتماءات المشتركة بين الناشرين والمشاهدين المحليين فقط. وإنما يسعى الناشرون إلى زيادة والرفع من مستوى التفاعلات مع المستخدمين مهما تباعدت المسافات بينهم، أو تباينت ثقافاتهم. لأن هذا النوع من المحتوى في واقع الأمر موجه للاستهلاك العام، وليس فقط لجلب الأصدقاء المقربين.

من جهة أخرى لم يعد استخدام الهاتف الخليوي في عصرنا هذا لمجرد البقاء على اتصال مع المعارف والمقربين. بل ساعد أيضا المستخدمين على "الانغماس" وسهولة الانخراط بشكل مكثف مع غيرهم، باستخدام وسائل الاتصال للاتصال أو للتفاعل مع أعضاء الجماعة الاجتماعية الجديدة المشكلة في الفضاء الرقمي، التي تدعم الاهتمام المشترك على حساب الثقافة المحلية، والتي لا تعترف أيضا بالحدود الفاصلة أو الانتماءات الاثنية. مشكلين بذلك "دائرة اتصال اجتماعية"، والتي تبدوا كنوع من ديناميات الترابط الاجتماعي العالمي، ذلك أن دائرة الاتصال هذه عبر مواقع التواصل الاجتماعية هي ليست الشبكة الاجتماعية نفسها، بل أنها تدعم الشبكات الاجتماعية الناشئة في البيئة الرقمية من خلال التسهيل والتوسط من الناحية التقنية التفاعلات القائمة بين مستخدميها. ومنه يمكن فهم ديناميات الترابط هذه

بين الأفراد الذين يستخدمون الوسائط الجديدة، من خلال التبني المشترك لما هو جديد، سواء في عالم الفن أو الرياضة أو الموضة ... إلخ.

غير أن الأفراد الذين لا يستخدمون بانتظام مواقع التواصل الاجتماعي، قد لا يفهمون لماذا غيرهم من الناس يهتمون كثيرا بالتواصل عبر هذه الشبكات، ويستخدمونها بشكل مفرط في حياتهم اليومية، كما أنهم لا يجدون تفسيرات لاهتمامات الناس وأذواقهم عندما يشاهدون ويتصفحون محتوى ذو نوعية رديئة. ذلك أن أشرطة الفيديو المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي من الممكن أن تخدم وظائف اجتماعية هامة، وليس من الضروري خضوعها للمعايير المجتمعية. لذا لا يجب الحكم عليها من ناحية قيمتها. ففي سياق الرسائل الفورية، فإنه لا يمكن التركيز على كل الرسائل المتبادلة والتي تحمل معلومات مختلفة ومتنوعة. بل أن الأهمية تكمن في أن ما يتم نشره من الممكن أن يحدث وينشئ "تقارب بين المستخدمين"، وهو ما اصطلح على تسميته "بالشعور الاتصالي" بين الأفراد. ذلك أن الغاية الاتصالية لدى شبكات التواصل غالبا ما تقيَّم من حيث التفاعلات مع المحتويات المنشورة التي تتحها، أو ما يعبر عنه بتجربة الانفتاح والتفاعل مع الآخر". ذلك أن تبادل الرسائل من حيث غزارة المعلومات ووفرتها، من الممكن أن تنقل مشاعر الانفتاح والتقارب بين الشعوب، والتي من الممكن أن تحدث تقارب بين مختلف الثقافات.

وهذا ما يحيلنا إلى محاولات التمييز بين الانفتاح والانغلاق، إذ يمكن القول أن الأسرة يمكن اعتبارها جزءا لا يتجزأ من المجال الخاص، غير أنه سيكون من الخطأ افتراض أنها منعزلة ومنغلقة على نفسها تماما، بل هي تتطلب درجة الحد الأدنى من الانفتاح، بغض النظر عن ما إذا كانت هذه الأسرة تخضع لنظام جمهوري، أو ملكي، أو ليبرالي، أو اشتراكي، أو شمولي ... الخ. وبغض النظر عما إذا كانت جزءا من العصر الحديث أو

القديم، لأن المجتمعات تنتج أشكالا مختلفة من الحياة العامة والخاصة، كما أن هذه المجتمعات المختلفة، تنتج أيضا خطابات مختلفة، حول طبيعة الحياة العامة والخاصة. لذا فإن الواقع الاجتماعي في نظر البعض، لا يسمح بوضع حدود فاصلة، بين ما هو عام وما هو خاص، فالعلاقة هنا تكاد تكون رمزية بين العام والخاص، عكس النموذج المعياري للفضاء العمومي المادي "الهابرماسي"، الذي يتطلب توفر ظروف معينة كي يتحقق (Pond, 2016, p 148).

2. **الانتقال من المحلية إلى الكونية:**

في وقت مبكر من سبعينيات القرن الماضي، توقع عدد من العلماء أن المجتمع البشري آخذ في التحول من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلومات. وفي أوائل الثمانينيات من نفس القرن، أشار العالم الاستشرافي "جون نيسبيت" بوضوح إلى أنه "من بين العديد من التغييرات في المجتمع، هو الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات الذي سيكون أكثر دقة وانفجارًا". لاسيما وأن الربط العالمي لشبكة الأنترنت، أصبح يشكل اليوم مكانا للتجمع في كل مكان وزمان، من خلال إمكانية النفاذ عبر حواجز المجتمعات الجغرافية (راضي، ص 9، 2014)، التي لا تخضع للعوائق التنظيمية للحيز المادي، فضلا عن تمتع هذه الشبكات بميزة المرونة والتفاعلية، التي أهلتها أن تكون مجالا عالميا، وهذا من خلال القدرة على تشكيل العديد من الفضاءات الرقمية، التي تتيح إمكانية النشر واستيفاء المعلومات، التي تُعنى باهتمام مستخدمي شبكات الأنترنت، حيث بات يرتبط مفهوم التفاعلية بمفاهيم الحرية، المشاركة والنقاش، وغيرها.

ومنه فقد أصبحت تشكل الأنترنت مجالا خصبا، يسمح بإتاحة الفرص للخوض في مختلف المسائل، سواء أكانت دينية، أو فكرية، أو ثقافية، أو غيرها من القضايا، التي تضمن اهتماماً واسعاً من طرف مستخدمي هذه الوسائط، وهذا

بفضل تخلصها من قيود الرقابة، وعوائق النشر. فقد أصبحت شبكات الأنترنت تتميز بكون النشر فيها يصنع تنوعا في المواقف، وتباينا في الآراء، نتيجة الدفاع عن وجهات النظر وحماية المصالح. إذ أصبح من الواضح أن وسائل الإعلام والاتصال الجديدة، أنها تساهم في نشر وانتشار فضاءات رقمية جديدة، استجابة لما أملته التطورات التكنولوجية (اللبان، 2008، ص 161)، وهذا مقابل انكماش دور الأماكن العامة في الحياة المعاصرة، التي عجزت عن تلبية حاجات الناس التواصلية، وحقهم في التعبير، وإبداء الرأي وتبادل الأفكار، عبر آليات "الاتصال المواجهي". وهو ما أهل الأنترنت أيضا أن تكون بديل رقمي جديد، سهل الولوج، إذ لا يتطلب سوى الحد الأدنى من المعارف والمهارات، من أجل استخدام وسائل الربط والاتصال، كالحواسيب والهواتف الذكية، حتى يتمكن الفرد من الانضمام إلى الأخرين، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى ارتقاء عملية التفاعل بين الأفراد، لتصل إلى مستوى أعلى من ذي قبل.

إن الخاصية التواصلية التي أضحى يتمتع بها مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي، والمدعومة بميزة التفاعلية، خلقت مساحة يسيطر عليها التحرر، بعد تحول الشبكات نحو التنظيم الذاتي(Loveluck, 2014, p 2). وهذا بفضل التخلص من العديد من العقبات، على عكس وسائل الاتصال الجماهيري، التي يرى الكثيرون أنها لا طالما وضعت الحدود الفاصلة، بين الفضاء الخاص والفضاء العام لسنوات عديدة. في حين أن الحدود الفاصلة في الفضاء الرقمي لا تزال قيد التفاوض، لأنها تمثل وسيلة جديدة للتعايش، وهو ما يشكل جزءا أساسيا من انسانية الانسان، من خلال ممارسته مختلف حقوقه، كالحق في التعبير والكلام، المشاهدة والاستماع، مع إمكانية الحصول على مختلف المعلومات.

ومنه يمكن القول أن هناك أفكار مختلفة وآراء متنوعة، يتم التعبير عنها وتداولها على شبكات التواصل الرقمي التي باتت تعمل على تقريب كل الأطراف رغم

تباعدهم، وعلى اختلافهم وعدم تجانسهم، للمشاركة في النقاش على الانترنت سواء أكان سياسي، أو ديني، أو ثقافي. ذلك أن شبكات الأنترنت قد بات بإمكانها توفير التنوع في النقاش العام، عبر آليات تسمح باستخدام الرمزية والأسماء المستعارة والصور وغيرها، وهو ما يعكس خصائص القومية أو الاثنية في مجال مفتوح. على الرغم من أن هذه الوسائط تدفع الأفراد في كثير من الأحيان إلى عزل أنفسهم عن التفاعل مع من يختلفون معهم. ذلك أن مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي الذين لديهم اهتمامات ما، يجنحون في غالب الأحيان إلى البحث عن أعضاء يتفقون معهم، مكونين بذلك مجموعة افتراضية جديدة، تعزز أفكارهم، وينشرون من خلالها ثقافاتهم. غير أن ذلك في واقع الأمر غير كاف للحفاظ على الثقافة المحلية، إذ لا يعدوا كون كل ذلك مجرد محاولات متواضعة للتصدي للثقافات المهيمنة.

3. **طمس الحدود بين الخاص والعام داخل المجال الرقمي:**

تعد الإنترنت حاليًا أكبر شبكة لربط أجهزة الكمبيوتر، ومكانا للاتصال والتفاعل. إلا أن هناك شعور طاغي بين الناس في العصر الحالي، جعلهم يعتقدون أن العلاقة التي كانت تعتبر طبيعية بين الناس أصبحت معقدة، كما أن العلاقة بينهم وبين العالم في تعقيد متزايد. وأن هذه العلاقات المعقدة أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على الثقافة المحلية في الوقت المعاصر، والتي ساءت وتدهورت، مما أدى إلى توليد ما يسمى بالأزمة الثقافية المعاصرة. التي ازدادت تأزما بسبب تطور تطبيقات تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة.

في ظل وجود فضاء الرقمي لا محدود يُنظر إليه على أنه مجال كوني يمكن للمرء أن يسافر فيه من خلال الاتصال بوساطة الكمبيوتر"، و"الإبحار" في مختلف مواقع الويب والدخول إلى غرف المحادثة والدردشة. ذلك أن الفضاء الرقمي هو عبارة عن عالم من المعلومات المتدفقة والتي تنتقل في كل الاتجاهات بفضل ربط أجهزة

الكمبيوتر ببعضها البعض، وهو ما يمكن أن يضمن للفرد مستوى معين من السلطة على مواقع الشبكات الاجتماعية التي يزورها (بوبكر الصديق، 2018، ص 271).

ومن جهة أخرى يجدر بالذكر أن الفضاء الرقمي هو مصطلح ابتكره علماء الأنترنت لوصف النطاق الواسع لمصادر المعلومات المتاحة من خلال شبكات الكمبيوتر. لذا يعد الفضاء الرقمي مجالًا يتم فيه الاتصال والتفاعل بين شخصين أو بين فرد وجهاز كمبيوتر بواسطة البيانات الرقمية، كما يتم تبادلها عبر شبكات رقمية متداخلة ومتشابكة، بحيث يستطيع الفرد استخدام هذا التفاعل أو الاتصال لتحقيق مجموعة من الأغراض المختلفة.

وعليه يمكن القول أن كل وجهات النظر هذه تعد ضرورية لفهم نطاق الميزات التفاعلات بشكل عام في فضاء لامركزي يحتوى على عدد من البيانات اللامتناهية. حتى وإن كانت جملة المفاهيم هذه، لم تُلخص ولم تقدم تعريفا موحدا للفضاء الرقمي. إلا أنه يمكننا الأخذ بتعريف "آن ولاس برانسكومب" للبيئة الرقمية" إذ تقول أن: "البيئة الرقمية هي التي من خلالها يتفاعل المثقفون في مجال الكمبيوتر بشكل تفاعلي"، حيث تكون الإنترنت عبارة عن "العمود الفقري لربط الاتصالات بوساطة الكمبيوتر على مستوى العالم" (Wells Branscomb, 1995, 1640). وبالتالي يمكن القول أن الفضاء الرقمي هو "الترابط الكلي للبشر من خلال أجهزة الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية بغض النظر عن الجغرافيا المادية".

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن تصور الحياة العامة عندما تعطى فرصة للمشاركة العامة للأفراد عبر مختلف وسائل الاتصال، وبالتالي يمكن ملاحظة نوع من الترابط الإنساني الذي يتجاوز حدود الحياة الخاصة. والذي هو في واقع الأمر جزء لا يتجزأ من ذواتهم الخاصة، التي يتمتع بها الفرد العادي، الذي يكون جهة فاعلة، والذي ليس بمعزل عن وجود الآخر. إذ أنه من وجهة نظر سوسيولوجية، تكمن أهمية

الفضاء الرقمي في إمكانياته كوسيلة للاندماج الثقافي، حيث يتم التواصل بين الأفراد داخل هذا الفضاء، ويتبادلون فيه الآراء والأفكار والموضوعات النابعة من واقعهم الدنيوي، وهذا في اطار الانفتاح الذي يعد من المبادئ الأساسية للعولمة. وبالتالي فإن وجود المجال الخاص غير وارد دون وجود المجال العام، غير أنه لا يمكن الجزم بعدم حدوث صدام بين الخاص والعام داخل الفضاء الرقمي.

ومنه فإن بعض المنظرين يرون أن المنخرطين في الفضاءات الرقمية كثيرا ما يقعون في فخ وهمية الثقافة، بسبب ازدواجية الأدوار للأفراد المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي، المدفوعين بأنانية تحقيق غايات خاصة، وهو الموقف المتناقض الذي من الممكن أن يؤثر، في قدرة الفرد على العمل، التفكير والتواصل. لذا فإن حقيقة ما يحدث في قلب الفضاء الرقمي، هو الصراع العميق بين الذين يتواصلون ببعضهم البعض، في المنتديات التي هي أرضية لعمليات الاتصال الخطابي من أجل الذود عن الثقافة المحلية والدفاع عنها. وبين الذين يبحثون عن تشكيل معالم ثقافة عالمية موحدة تنصهر في بوتقتها مختلف الثقافات. وهو ما يجعل الخصوصية الفردية التي يتمتع بها الأفراد الأحرار، والتي تتميز بالحفاظ على الثقافة المحلية للمجتمع، شرط غير كامل التحقق داخل الفضاء الرقمي، الذي يتكون من مختلف مجالات الحياة التي تنظمها ترتيبات خاصة أو طوعية، بين الأفراد والجماعات (Hassan, 2004, p 101).

4. اشكالية التدوين في الفضاء الرقمي:

من الصعب صياغة تعريف واحد للثقافة، وهذا لأن الخصائص الأساسية والفريدة للكيان الانساني هي التي تحددها. فقد تتضمن هذه الخصائص العادات والمعتقدات لجماعة ما، والتي تنطوي على "المفردات المشتركة من التقليد والعرف" التي تكمن وراءها مجموعة كاملة من الممارسات الاجتماعية (كميليكا، 2020،

ص 126). كما يمكن أن تصبح المهارات التي يمتلكها الأشخاص أيضًا جزءًا من ثقافهم. غير أن بعض الخصائص والمعايير الخاصة بالأفراد والمجتمعات قد تعكس تصورات مختلفة عنهم. مما قد يؤدي إلى الاختلاف في الثقافات وبالتالي الاختلاف في جوهر العلاقات الانسانية.

إلا أننا نجد اليوم على شبكات الأنترنت مساحات خطابية خاصة ومستقلة نسبيًا، تتمثل في المدونات التي بفضلها ينفتح المجال أمام المدونين لسرد عوالمهم، فهي لا تؤسس للذات الفردية فحسب، بل أيضًا تشتت الذات، وتحولها إلى فضاء ثقافي عام مستقل أو تعددي. لذا نجد أن طليعة المدونات وأشهرها هي مدونات المشاهير أو النجوم التي يتجلى فيها أسلوب الحياة والاستهلاك المترف، وهو ما يمثل تفوق وامتياز فئة معينة عن غيرها، والتي تعد المرجع الحقيقي للحياة المثالية لمجموعة المدونين الشباب. خاصة وأن التدوين في الفضاء الرقمي هو انعكاس لثقافة المجموعات الافتراضية. ومنه يصبح اكتساب الثقافة تمثيلًا نفسيًا مهمًا، نظرًا لأن الوعي الفردي والثقافة الذاتية لمرحلة ما بعد المراهقة غير مستقرة، وغالبًا ما يشكل الشباب الثقافة الخاصة بهم، من خلال محاولة الاقتداء وتقليد من يتواجدون في أعلى مستوى معيشي، دونما اعتبار لجنسياتهم أو هوياتهم أو ثقافاتهم.

ومنه تعد المدونات مجالًا للثقافة، إذ تستخدم المدونات الشخصية، للتواصل بين المدونين ومتابعيهم وقراء منشوراتهم، حيث يتم تشكيل دائرة تجمع الأصدقاء المدونين، الذين يسعون لتحقيق مشاركة المعلومات والتفاعل العاطفي. وفي هذه الدائرة لا يوجد فاصل هرمي ولا فارق في الوضع الاجتماعي، ولا تمييز إقليمي، وإنما هو مجال يجمع بين الشباب المتشابهين في التفكير من جميع أنحاء العالم، مما ينتج عنه مساحة متناغمة للتواصل من أجل بلورة ثقافة شبابية مشتركة. حتى وإن كان مصير

هذه النوع من الثقافة يبدو مجهولا، لأن هذه الثقافة مجرد ثقافة تحاكي الثقافة المجتمعية، والتي ستتقلص وتهمش بصورة متنامية (كميليكا، 2020، ص 122).

وعليه تزداد أزمة الثقافة اتساعا لدى الشباب، خاصة الذين لا يتمتعون بدعم روحي كبير في الحياة الواقعية. فيتجهون إلى المساحات الرقمية لسد ذلك النقص، حيث تساهم التفاعلات الرقمية في تكوين مساحات اتصال حرة من ناحية. ومن ناحية أخرى من أجل الشعور بالألفة وعدم الدونية التي تنشأ بفضل غياب بعض التفاوتات الموجودة في الواقع المادي بين طرفي عملية الاتصال، وهذا بسبب عدم مرئيتها. مما يوحي بأن مجتمع الإنترنت يتسم بنوع من المساواة والعدالة، لاسيما عندما يتم حجب الاختلافات في الفروقات الفردية، وحالة الملكية، والوضع الاجتماعي، والعرق، والانتماء، وما إلى ذلك. وهو ما يضعف التحيز المرتبط بالبيئة الاجتماعية في الواقع المعاش، إذ غالبًا ما يعتمد تحديد الواقع على بعض المظاهر الخارجية، مما يؤدي إلى أزمة في الثقافة الفردية والجماعية على حد سواء. وهذا على عكس مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات التي تعزز بشكل لافت علاقة الثقة، بفضل تكوُن فضاء عام ناتج عن الاتصال الفعال.

رغم أن العديد من المدونين يلجؤون غالبا للكتابة لأنهم يتوقون إلى حد ما للتواصل مع الآخرين، والتفاعل والتجاوب معهم عن طريق الرد على تعليقاتهم ورسائلهم، لأن ذلك يعد مصدرا لإدخال السعادة، ودافعا محفزا على الكتابة لدى المدونين. وهو ما يُظهر أن التعرض للحياة الخاصة للمدونين يحتمل أن تكون الغاية منه هو محاولة جذب انتباه الآخرين، والاستماع إلى آرائهم حول ما تم نشره. والتي من الممكن أن تجلب عمومًا الشعور بالرضا والحماس إذا ما كانت تفاعلات الأصدقاء تحمل الدعم والتأييد. فقد ظهر هذا النوع من المدونات الخاصة والمستقلة نتيجة

رغبة أولئك المدونين الذين يسعون للحصول على التقدير والقبول من طرف متصفحي المدونات.

فمن خلال القدرة المكتسبة لدى مستخدمي الوسائط الجديدة التي أوجدتها تكنلوجيا الاتصال، الذين بات بإمكانهم تعميم وتبادل المنشورات والصور وأشرطة الفيديو، مما يعني نشوء درجات متفاوتة من "عمومية المشاركة". ما أصبح يعكس اشكالا من روابط الصداقة الجديدة، والتي تظهر أكثر وبشكل جلى لدى فئة الشباب، الذين ما فتئوا يعرضون السلوكيات "الخاصة بهم علنا"، والتي من خلالها يتم الكشف عن ثقافة صانعي المحتوى الرقمي، على الرغم من أن المحتوى الذي يتم إنشاؤه يعد خاصا نسبيا، إلا أنه بعد أن يتم نشره في الفضاء الرقمي يصبح جزء من النشر العام، بمجرد أن يتم التفاعل معه على نطاق واسع.

5. **البحث عن تقدير الذات داخل البيئة الرقمية:**

إن تبادل الأفكار والصور ومقاطع الفيديو ونشر التعليقات والردود على شبكات التواصل الاجتماعي بأنماط معينة، ليس الهدف منه زيادة الوجود الاجتماعي، أو محاولة خلق الشعور المشترك بالانتماء النابع من العلاقات الاجتماعية الموجودة، أو خلق صلة إضافية ومتانة للعلاقة الغير متماسكة فحسب. وإنما أصبح يمهد لنسج علاقات وإنشاء صداقات وروابط جديدة بين مستخدمي هذه الوسائط الجديدة. حيث أصبح عدد من صانعي المحتوى الرقمي أصدقاء مع غيرهم من صانعي المحتوى الآخرين، رغم أنهم لم يكونوا يعرفون بعضهم البعض من قبل، ليصبحوا اصدقاء جدد، مكونين بذلك صداقة افتراضية جديدة.

ومن جهة أخرى فإن الملاحظ في مواقع التواصل الاجتماعي، أن المستخدمين باتوا يجنحون لنشر معلومات وافية عن ذواتهم، سواء بطريقة فنية ابداعية، أو عن طريق نشر الطرفة والمحتويات الساخرة، وهذا النوع نابع من الإحساس الفطري والميل

إلى الفكاهة. وهذا ما يجعل بعض الصور/ مقاطع الفيديو واسعة الانتشار وتحصد مشاهدات أكثر بكثير من غيرها، حتى وإن لم تكن ذات اهتمام عالمي بالموضوع الذي تتناوله. فالمحتوى الرقمي الذي يتسم بالجاذبية يكون له انتشار على نطاق واسع وله شعبية كبيرة، نظرا لتماشيه مع "الذوق العام العالمي". وبهذا توثق الصلة بين المستخدمين، لا سيما إذا ما استمر الناشر في التواصل مع المعلقين والتفاعل مع تعليقاتهم.

ومن وجهة نظر معاكسة فإن البعض يرى أن الخصوصية مطلوبة للأفراد من أجل تفعيل الذات، فالخصوصية أمر ضروري للنهوض بالذات وحماية سلامة العلاقات. وأن ابراز الذات أو جوانب منها دون خوف من المجهول محفوف بالمخاطر. وبما أن التعليقات وسيلة لقياس التفاعل، وتعبير عن وعي المستخدمين وعن الكيفية التي يتعاملون بها مع مختلف المواد المنشورة. فهي أيضا وسيلة يمكن التعرف من خلالها على ثقافات وهويات المستخدمين من خلال دراسة أفكارهم وآرائهم وردود أفعالهم. وفي الوقت ذاته فإنه يمكن دراسة أنواع مختلفة من شبكات التواصل الاجتماعي لمعرفة مختلف الخلفيات الثقافية لأفراد المجموعات المنتسبة لهذه الشبكات.

كما أنه من الخطأ استنتاج أن تكنولوجيات التعبير الرقمي هذه، أنها لا تخفي الحدود بين العام والخاص (Proulx, Millette et Heaton, 2012, P 35)، حتى وإن كانت مشاعر الانفتاح والتقارب بين الشعوب في تنام متزايد، لارتباطها بتطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، والتي أصبحت تعمل على ذوبان الفوارق، بين كل ما هو عام وما هو خاص. مما يجعل ذلك في نظر الكثيرين عاملا مؤثرا على الذات الخاصة والذات العامة، في مواقع التواصل الاجتماعي، والتي غالبا ما يلجأ الأفراد فيها إلى نشر معلوماتهم الشخصية وتجاربهم الخاصة على نطاق واسع، بصورة مفتوحة لمستخدمي

هـذه الشـبكات، بغيـة مشـاهدة الـذات عبر الآخـرين، مـن أجـل الشـعور بالرضـا أو الأهمية.

6. **الهيمنة الثقافية في العصر الرقمي:**

لقد جاء مفهوم الفضاء الرقمي في الأصل من الخيال العلمي، لكنه أصبح الآن جـزءًا لا يتجـزأ مـن حياتنـا. فعنـدما نسـتخدم الإنترنـت لإرسـال الرسـائل الإلكترونيـة أو اسـتلامه، أو إجـراء الأعمـال التجاريـة، أو تبـادل الأفكار مع الآخـرين، فـنحن بالفعـل في مسـاحة رقميـة. تمنحنـا القـدرة على التفاعـل مع أشـخاص من جميع أنحـاء العـالم لكن ليس "وجهًا لوجه". وقد تكون أداة لتشـكيل روابـط وثيقـة بين هؤلاء الغربـاء الـذين ربما لـم ولـن يلتقـوا أبـدًا في هـذه الحيـاة. ذلـك أنـه أصـبح ينظـر إلى تكنولوجيـا الكمبيـوتر والشـبكات باعتبارهـا "سـفينة"، يجـوب المـرء بواسـطتها العـالم، ويطلـع على مختلـف الثقافات، دون الحاجة أن يغادر الأريكة التي يستلقي عليها.

ومنـه فـإن التفـاعلات التي تـتم في الفضـاء الحقيقي تحمـل بطبيعتهـا لمحـة عـن ثقافـات الأشـخاص الـذين أنشـأوا المحتـوى المنشـور. وبشـكل عـام يـتم نقـل الثقافـات المحليـة للمجتمعـات إلى البيئـة الرقميـة. وهـو مـا يعـرف "بالثقافـات السـيبرانية"، والتي يـرى البعض أنهـا ليسـت ثقافـة واحـدة بـل تعـد "تشـكيلا" ناتجـا عـن كثير من الثقافـات التي تختلـف مـن حيـث البنى، والأدوات، والأفكار، والأيـديولوجيات المتصـاحبة (نايـار، 2018، ص 14)، وهـذا راجـع لأن كـل بلـد لـه خصائصـه المختلفـة. حتى وإن كـان لـدى الشـعوب سـمات مشـتركة، والتي منهـا الحاجـة للتواصـل. ومنـه فـإن المناقشـات داخـل الفضـاء الرقمي يمكـن أن تتعـدى المكـان الـذي يتواجـد فيـه المسـتخدم، وأن مضـمون المناقشـات يمكـن أن يلقـى اهتمامـا عنـد العديـد مـن الأفـراد في كل بقـاع العـالم، الأمـر الذي قد يساعد على تشكل اتفاقات حول ثقافة مشتركة.

ومنه يمكن القول أن هناك أنواع من الثقافات المنتشرة التي تدعمها وسائل الإعلام والاتصال الجديدة. وهذا بسبب الحاجة الإنسانية للتواصل من أجل تلبية مختلف الاحتياجات لدى الأفراد، وذلك باستغلال الميزات التقنية التي مكنت المستخدمين من المزيد من التحكم في خلق تفاعلات مع الآخرين. حتى ولو أدي ذلك إلى التنازل على جزء أو الكل من الثقافة المحلية. لأن الأفراد في العصر الرقمي على الأرجح سوف يستمرون في البحث عن سبل لتوسيع دائرة المعجبين الذين يحملون ثقافات متنوعة في بيئات وسائل الإعلام الجديدة.

ومن جانب آخر وعلى الرغم من أهمية النشاط الثقافي داخل الفضاء الرقمي في العصر الرقمي، المدجج بأشكال الصور، والمقاطع المرئية والسمعية والنَّصية التي أصبحت تُشكل تحولا ثقافيا داخل الفضاء السيبراني في الوقت الحاضر(نايار، 2018، ص 83). إلا أن ذلك لا يعني أن الفضاءات الرقمية أصبحت تعكس الصورة التقليدية للثقافة الشعبية المعبرة عن الثقافة الوطنية والقومية، وإنما أصبح يشار إلى ذلك على أنه يمثل أزمة الثقافة، بسبب تحور الأدوار والمواقف، والعادات والممارسات، وهو ما يطرح بجدية مسألة إعادة التفكير في الثقافة القومية، التي يرى البعض أنها من الممكن أن تتحول إلى ثقافة مشتتة.

7. **الصراع الثقافي على شبكات التواصل الاجتماعي:**

في الفترة الانتقالية للمجتمعات الغربية، تطورت الصناعة الثقافية بسرعة، مما جعل الوضع الثقافي العام يوحي بوجود مشهد من التعايش متعدد الأبعاد بين مختلف الثقافات الشعبية السائدة. إلا أنه وعلى العكس من ذلك فقد وجدث ثقافات "شعبوية" على وسائل الاتصال يروج مستخدموها لثقافة مبتذلة، الهدف من ورائها الحصول على معدلات مرتفعة من المتابعة، من خلال تصيد بعض المستخدمين المتلصصين المدفوعين بالفضولية ورغبة إشباع الرغبات، أو من خلال إعادة نشر

عدد من المعلومات التي لم يتم التحقق منها من أجل جذب الانتباه. وهم من أصطلح على تسميتهم باسم "مروجي الإنترنت"، أي الترويج لأنفسهم بوسائل غير لائقة حتى يصبحوا أحد "المدونين المشهورين". وهذا النوع من الازدهار الزائف والتفاعل القائم على الفضول، من المتوقع له أن يكون قصير العمر ولا يمكن أن يصبح أساسًا للتواصل المتناغم.

كما أن الافتقار إلى مساحة كبيرة من الاهتمام يجعل الناس يشعرون بالوحدة والاغتراب، ذلك أن الاغتراب: ظاهرة، قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظل سننها وتقاليدها المشاكل والأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بأخر عن أنواع من الاغتراب (الجماعي، 2009، ص 50)، لاسيما في عصر الإنترنت هذا الذي يتسم بعدم الثبات وعدم اليقين. رغم أنه من خصائص الفضاء الرقمي تفعيل خاصية الدعم العاطفي من خلال إمكانات التفاعل عبر شبكات التواصل، إلا أن ذلك ليس كافيا، فالتقنية لا يمكن أن تولد الحميمية بأي حال من الأحوال. فالفرد يرتبط في الغالب بالجوانب الاجتماعية الكلية، التي منها التنشئة الاسرية والتعليم، حتى وإن كانت غير ثابتة والشديدة التغير، مما قد يتسبب في بعض الأحيان في تغيرات في العلاقات الشخصية في الحياة الواقعية، الذي يتولد عنه انخفاض درجة الثقة بين الأشخاص، والترابط العاطفي، الأمر الذي يدفع الإنسان إلى ممارسة الكبت للتخلص من شعور القلق والضيق الذي يعانيه بسبب وجود عوامل متضاربة القيم والأهداف (الجماعي، 2009، ص 57)، وهو ما يتعمق أكثر في الفضاء الرقمي. ومنه فإن تسارع التحضر وزيادة عدد سكان العالم يجعل الثقافة الأصلية لمجموعة الشباب تختفي بفعل عمليتي التغيير والتشتت.

من جانب آخر تجدر الإشارة إلى أن شعبية مدونات المشاهير في ازدياد، في حين أن شعبية مدونات الأشخاص العاديين في انخفاض. لذا فعادة ما تكون العلاقة

بين المدونين الأساسيين والمدونين العاديين أحادية الاتجاه، لأنها لا تقدم وجهات نظر مثيرة ومتبادلة. مما يجعل التركيز على عالم المدونات وزيادة الاعتماد على الإنترنت يؤدي إلى إضعاف التواصل بين المستخدمين في العالم الرقمي، وهو ما يجعل أيضا حياة المدونات والمجتمع الرقمي أقل واقعية من الحياة الواقعية.

ذلك أن أهم الدوافع في واقع الأمر وراء النشر والتدوين لدى الشباب هي الحاجة لتجنب "العزل التواصلي" الناجم عن الفوارق الاجتماعية، والأحكام المسبقة المختلفة في الحياة الواقعية، والتي كلها تعمق درجة الاغتراب الروحي. مما يجعل العديد من الشباب يحاولون اصطناع حالة من التعايش مع المدونات المنافسة، لأن عالم المدونات هو مجتمع متباين، وغالبًا ما تتعارض ثقافات المدونات مع الثقافات الحقيقية. فضلا عن ذلك فإن عدم تناسق الاتصال عبر شبكات الأنترنت، لا يمكن أن يحقق تواصلًا حقيقيًا متساويًا وفعالا، بل سيعمل على تعميق الفوارق وإضعاف المشاعر. كما أن التدوين لا يحمي الثقافة من التجزئة، في حلبة رقمية فضفاضة يكثر فيها التصادم والسجال الفكري بين مختلف الحضرات والثقافات.

لذا فإنه من وجهة نظر أخرى يُعتقد أن التدوين أصبح وسيلة لامتلاك مكانة داخل الفضاء الرقمي، كما يعزز مكانة الفرد ويجنبه التهميش الذي يعاني منه في الحياة الواقعية، لهذا تميل فئة الشباب إلى اختيار المدونات باعتبارها "موطنًا روحيًا افتراضيًا" لتحقيق غريزة التفاعل الإنساني وعملية التنشئة الاجتماعية. فبالنسبة للشباب المتحمسين للتواصل مع غيرهم من الأشخاص بغية الحصول على الاهتمام، يمكن أن يكسب المدونين شعورًا بالانتماء الجماعي والسعادة الغامرة، خاصة لدي الافراد الذين لديهم حواجز تواصلية في الحياة الواقعية. ومنه فإن المدونات قد تبدوا منصات للإبداع الثقافي والفني للشباب، ولكنها من جهة أخرى مكان لاصطناع الهويات

والثقافات الزائفة إرضاءً للذات المتغيرة. ومحاولة للتغلب على الشعور بالاغتراب الروحي من خلال الربط الرقمي بالعالم (الجماعي، 2009، ص 66).

خاتمة:

بما أنه لا توجد في الوقت الحالي آلية فعالة لحماية الثقافات، لا سيما الثقافات ثقافة الأقليات، من الاندثار والزوال، فإنه من المرجح في العصر الرقمي أن تتعرض هذه الثقافات إلى الانصهار والذوبان داخل بيئة متناحرة مليئة بالصراعات والصدمات الثقافية. فالبيئات الرقمية لها اختلافات متأصلة عن الفضاء الحقيقي والتي تسبب هذا التناقض. مما يجعل تحديد ثقافة ما في الفضاء الرقمي يحتاج إلى إعادة التفكير في الطبيعة المعيارية لهذه الوسائط، التي قد تكون لها تداعيات عكسية على البنى الثقافية للمجتمعات، مما يستوجب أن يؤخذ في الاعتبار ابتكار وسائل فعالة لصون الثقافة المحلية باعتبارها كيان متأصل أو مخصص داخل المجتمع الواحد.

المراجع:

العربية:

- بن شويخ بوبكر الصديق(2018). الفضاء العمومي الافتراضي "ساحة للتعبير وتعزيز الحريات". مجلة العلوم الاجتماعية. العدد 7. المجلد 4. ص ص 269-280.
- الجماعي، صلاح الدين أحمد (2009). الاغتراب النفسي والاجتماعي" وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي". عمان. دار زهران.
- راضي، محمد فخري (2014). دور الإعلام في تنشيط الحراك السياسي العربي، ط1. عمان. دار امجد للنشر والتوزيع.
- كافي، مصطفى يوسف (2016). الإعلام التفاعلي. عمان. دار الحامد للنشر والتوزيع.
- كميليكا، ويل (2020). مواطنة الثقافات المتعددة "نظرية ليبرالية لحقوق الاقليات". ترجمة: هيثم غالب الناهي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- اللبان، شريف درويش (2008). شبكة الأنترنت بين حرية التعبير وآليات الرقابة. دار الكتاب الحديث.
- نايار، برامود كيه (2018). مقدمة إلى وسائل الإعلام الجديدة والثقافات السيبرانية. ترجمة: جلال الدين عز الدين علي. وندسور. هنداوي سي آي سي.

الأجنبية:

- Hassan, Robert (2004). Media. Politics and the Network Society. McGraw-Hill Education. UK.
- Loveluck, Benjamin (2014) Internet. un nouveau pouvoir?. Halshs.
- Pond, Philip (2016), Twitter Time: a temporal analysis of tweet streams during televised political debate, Television & New Media, vol 17, no 2, pp 142-158.

- Proulx , Serge et Millette, Mélanie & Heaton, Lorna (2012). Medias sociaux (enjeux pour la communication). Presses de l'Université. Québec.
- Wells Branscomb, Anne (1995). Emerging Media Technology and the First Amendment: Anonymous, Autonomy and Accountability: Challenges to the First Amendment in Cyberspaces.104 Yale L.J. pp 1639- 1640.